

المدرسة المباركية في الكويت: نشأتها وتطورها وتأثيراتها على المجتمع الكويتي بين عامي 1911-1936

عبدالله سليمان المغني *

ملخص

تناولت الدراسة نشأة المدرسة المباركية باعتبارها أول مدرسة نظامية في الكويت وتطورها بين عامي 1911-1936 والتأثيرات المجتمعية للمدرسة المباركية على المجتمع الكويتي ودورها في نشوء العديد من المدارس الحديثة ووجود المكتبات والنوادي الثقافية، إضافة إلى الدور المجتمعي الذي لعبته هذه المدرسة في نشر الوعي السياسي والثقافي. الكلمات الدالة: المدرسة المباركية، الكويت، المدارس، المكتبات، المجتمع الكويتي.

المقدمة

تُعدّ الأردن واحدة من أهم دول المنطقة التي استقبلت موجات لجوء متعددة قبل وبعد تأسيس المملكة، ولكن أزمات اللجوء التي إنَّ دراسة تاريخ التعليم في الكويت تُعدُّ من الموضوعات الحيوية المعبرة عن نبض المجتمع الكويتي ورغبة أبنائه في تلمُّس مسيرة نموه الثقافي والاجتماعي والسياسي والاقتصادي. وقد تناولت العديد من الدراسات السابقة هذا الموضوع موضوع التعليم في الكويت غير أنه ليس من بينها دراسة علمية تناولت موضوع المدرسة المباركية بشكل كامل متكامل باعتبارها أول مدرسة نظامية في الكويت ونظراً لأهمية هذا الموضوع استدعى طرح أسئلة بحثية جديدة تحتاج إلى استقصاء دقيق للوصول إلى تكوين مقارنة لما كان عليه وضع التعليم إبَّان نشأتها والسياق التاريخي والاجتماعي اللذين واكبا مسيرتها. فما أسباب نشأتها؟ ومن صاحب فكرتها؟ وما دور الشيخ يوسف بن عيسى القناعي والشيخ ناصر المبارك الصباح في تأسيسها؟ وما المناهج، وطرق التدريس التي كانت متبعة في أول مدرسة نظامية في الكويت؟ ومنهم أبرز المعلمين الذين درَّسوا فيها؟ وما أثر المدرسة الثقافية والسياسي والمجتمعي بالكويت؟

وقد التزمت الدراسة اتباع المنهج التاريخي القائم على استقصاء كافة المعلومات المتعلقة بالموضوع في الوثائق والمخطوطات المتوفرة وإخضاعها للنقد والتحليل واستخراج ما فيها من الحقائق. كل ذلك لرسم صورة واضحة متكاملة عن المدرسة المباركية.

العوامل التي ساعدت على تأسيس وإنشاء المدرسة المباركية:

ازدهرت الحركة التجارية بين الكويت والهند عام 1910م في عهد الشيخ مبارك الصباح الحاكم السابع للكويت، وأصبحت تجارة اللؤلؤ المصدر الأول لتجار الكويت.

وأصبحت الحاجة ملحة إلى كُتَّبة ومحاسبين لضبط الدفاتر وتنظيم المراسلات (المفرج، 1964)، وإيجاد المتعلمين والعارفين بأصول العمليات الحسابية وخاصة فيما يتعلق بتوزيع حصة العاملين في سفن الغوص، وما يترتب عليها طبقاً لأهمية كل عامل في هذه السفينة، وهناك توزيع للحصص المتعارف عليه يتضمن نسبة لصاحب السفينة، وأخرى للنوخذة، وحصة ونصف للغيص، وحصة واحدة للسبب الذي يقوم بتعيينه نوخذة السفينة، ويدفع العزال نسبة معينة، إذا ما حصل على عائد مالي من لؤلؤ السفينة وما عليها، وما يتبقى يكون في جيبه الخاص (شهاب، 1984)

وبالتالي أصبحت الضرورة تقتضي الانتقال إلى مستوى آخر من التعليم تتجاوز التعليم التقليدي بعد أن توافرت الأموال في أيدي الناس، وزادت في الوقت نفسه الحاجات وتعددت، ودخل عدد من المتغيرات على المجتمع الكويتي، فكان لابد من إضافة

* كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الشارقة. تاريخ استلام البحث 2018/10/1، وتاريخ قبوله 2019/2/5.

علوم أخرى إلى تدريس الكنائس. ولا بد من خبرات أخرى في التعليم لها مستواها، وتتفق مهاراتها مع حاجات النمو الاقتصادي للتجارة والغوص والسفر، و في الحسابات، فكان لزاماً تكوين جيل وطني وطنيئلاً بكل هذه الأمور. (حسين، 2002)

وذلك بالإضافة إلى تطور التعليم في البلاد المجاورة للكويت وأثر تعليم أبناء الكويت في العراق التي كانت تحت الحكم الإنجليزي، والخوف من انتقال روح العداء إلى الكويت. (Kuwait Political Agency, 1994)

عوامل نشوء المدرسة المباركية

ويمكن استعراض مجموعة من العوامل التي ساعدت على إنشاء أول مدرسة نظامية في الكويت:

1- لم تكن الكويت معزولة عما يدور فيها من أحداث وما يقتضيه غناها التجاري من الحاجات، كما أن أسفار أهلها وعلاقاتهم التجارية واتساع اتصالاتهم ببعض الدول العربية وإيران والهند وشرقي أفريقيا كانت تسمح لهم ولو من النواذ الصغيرة بالاطلاع على ما يجري في البلاد العربية وفي دول الجوار في العالم، وكان تدفق الثروة عليها من صيد اللؤلؤ ومن حركة النقل والصرف يفرض عليهم مسايرة هذا التطور، كما كانت طبيعة العمليات التجارية تحثهم على معرفة الجديد والمزيد من الجديد حولهم. (من مسيرة التعليم، 2011)

2- كان المجتمع الكويتي في مطلع القرن العشرين يمر بتحولات ثقافية واقتصادية وسياسية في نفس الوقت وعلى نحو أشبه بالانقلاب، وعلى الرغم من أن هذا الانقلاب كان يدور ضمن نطاق التقليد والمحافظة في التعليم إلا أن المجتمع الكويتي كان متقدماً في مجالي الاقتصاد والسياسة، مما دعا إلى وجود حاجة ملحة إلى خطوة جديدة موازية لنشر التعليم والعلم تقفز بالمجتمع قفزة واضحة نحو الحياة الحضارية المتكاملة، وكان على رأس هذه المشيخة شيخ بعيد النظر يمدّها بالطموحات السياسية الواسعة، في حين يمدّها بالتطلعات الاقتصادية الأوسع ويمدّها بالمتنورين بأفكارهم التقدمية فكان لا بد من أن تسير الحياة الفكرية هذه الطموحات. (من مسيرة التعليم، 2011)

1- ظهور جماعة من الفقهاء ورجال الدين في البلاد سبق لهم أن تعلّموا ودرسوا في عدد من الأقطار المجاورة مثل نجد والإحساء والعراق والهند وغيرها من الأقطار ذات الصلة القوية بالكويت واطلاّعهم على مستوى الثقافة والتعليم ومدى انتشارها في هذه الأقطار دافعا لهم نحو التفكير في ضرورة إيجاد مدارس نظامية في الكويت تكون كمؤسسات تعليمية تساهم في نشر التعليم المنهجي المنظم (من مسيرة التعليم، 2011)، فأدركوا الحاجة إلى وجود مؤسسات نظامية تنهض بالتعليم حيث قارنوا بين مستواه في الكويت والدول الأخرى (حسين، 2002)

4- زيارة كبار العلماء العرب للكويت، فقد لفتت هذه البقعة من الوطن العربي أنظار عدد من المتنورين والعلماء في عهد مبارك الصباح، سواء كان ذلك في حروبها أو المشكلات السياسية أو بالنشاط التجاري الواسع وزيارة بعض رجالها للأقطار المجاورة وخاصة مصر والشام والعراق ورغبتهم في استدعاء كبار الرجال إلى بلادهم كي يزداد نشر أفكارهم قوة ونشاطا وسمعة، وقد تلقى عدد من الشخصيات هذه الدعوات بالقبول وزاروا الكويت (من مسيرة التعليم، 2011)، أمثال عبدالعزيز الثعالبي* ومحمد رشيد رضا ومحمد الشنقيطي*. وكان لالتقاءهم في الكويت وعقد الندوات العلمية التنويرية الأثر الكبير في تعميق إحساس أهل الكويت بحاجة بلدهم إلى التقدم العلمي؛ وذلك بتحديث مناهجها التربوية وخططها الدراسية. (مجلة رسالة الكويت، 2006)

وقد دعا الشيخ مبارك الصباح رشيد رضا لزيارته والإقامة في قصره، وقد ساهم هؤلاء العلماء بشكل فعال في تثقيف أهل الكويت بالمحاضرات والدروس؛ إذ كانوا يستمعون إلى أحاديثهم ويتجاوبون معها ويتأثرون بالأحاديث التي كانت تحت على طلب العلم و على التجديد فيه مما كان له الأثر البالغ على الحياة الاجتماعية وشحذ الهمم من أجل تحقيق النهضة الثقافية. (الjasم، 2007)

ولم تتوافر في الكنائس المنتشرة في الكويت الإمكانات التي تساهم في وضع المناهج والكتب الحديثة أو تعيين مدرسين جدد بما

* عبدالعزيز الثعالبي: ولد في تونس الخضراء في 5 سبتمبر عام 1876م، وحفظ القرآن الكريم، وأخذ يتردد على المدرسة الخلدونية حتى حصل على الدراسات العليا، وقد عمل محرراً في صحيفتي المبشر والمنتظر إلى أن عطلتها الحكومة ثم أصدر جريدة سبيل الرشاد وكرسها للوعظ والإرشاد والدعوة إلى الإصلاح، وتوفي عام 1944. (المرشلي، يوسف، نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، بيروت، دار المعرفة، ط1، ج 1، 2006م، ص 737)

* محمد أمين الشنقيطي: ولد عام 1876م، علمه والده القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم، قِيم إلى الكويت سنة 1913م، بدعوة من السيد فرحان الفهد الخضير، صاحب الجمعية الخيرية ليكون مسؤولاً عن الوعظ والإرشاد (الرومي، عدنان، علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط1، 1999 ص689-ص690).

يُمكنها من تقديم مستوى عالٍ من العلوم والمواد الدراسية، بل استمرت الكتابات بما تقدّمه من دروس لا تتعدّى قراءة القرآن الكريم ومبادئ القراءة والكتابة والعدّ، وهذا لا يتلاءم مع طموحات المجتمع الكويتي وأهدافه التي تسعى إلى نشر مستوى متقدم من العلوم والمواد الحديثة التي أصبحت من متطلبات الحياة الاقتصادية والاجتماعية الجديدة، وافترقت الكتابات في هذه الفترة إلى الخطّة الدراسية المنظمة والبرامج المحددة ذات الأهداف التربوية، وكذلك المعلم المختص، كما أن الطرق البدائية المتبعة لم تساعد على تقديم مستوى متقدم من العلوم أو المواد الدراسية، حيث كان كل ما يُقدّم في هذه الكتابات من اجتهاد المعلم وفق إمكانياته البسيطة، ومن ثم أصبحت غير قادرة على تقديم مستوى متطور من العلم والمعرفة للبلاد، على الرغم من أنها المؤسسات التعليمية الوحيدة آنذاك. (حسين، 2002)

وتعدّ الديوانية من السمات الأساسية البارزة في المجتمع الكويتي، التي ساهمت في بلورة فكرة (الحاجة إلى التعليم) في الكويت بشكله النظامي من خلال المناقشات والحوارات التي كانت تدور بين رؤود تلك الديوانيات، وقد أصبحت الديوانية جزءاً من البيت الكويتي حتى اليوم، وكان عدد الديوانيات كبيراً، ويفتتحها معظم سكان الكويت من متوسطي الدخل. وكانت تنطلق منها الشائعات وردود الأفعال تجاه أي هدف من الأهداف سواء كانت داخلية أم خارجية، وكانت حريات النقاش مفتوحة فيها لجميع روادها، وكان أهل الديوانية يتزاورون باستمرار، نظراً لصلة القرابة والأخوة والتعارف فيما بينهم. وبهذا الشكل كانت الديوانية كأنها صحافة محلية حرة في المجتمع للأخبار والأدب والشعر والحوار بشأنها، وتطورات السوق وتداول الأفكار فهي تعدّ:

- 1- صمّام أمان ومتنفّس للأهل لبث همومهم، ورُفض بعض الأعمال الحكومية أو مشروعات القوانين التي تحكّم أمورهم أو قبولها.
 - 2- وسيلة الاتصال بين الحاكم والمحكوم والشعب بشكل مباشر وغير مباشر.
 - 3- مكاناً للاتفاق على المواقف عند الكوارث الطبيعية والأمور السياسية والخدمات الاجتماعية والغزو الخارجي أو المعونة العامة، وكانت كذلك مكان لاستضافة كبار العلماء والفقهاء من ضيوف الكويت قبل عصر الفنادق.
 - 4- كانت منطلقاً للكثير من المشروعات التنويرية والتطلعات الإصلاحية التي يقترحها رجال الكويت والمصلحون، وانطلقت من الديوانية فكرة تأسيس المدرسة المباركية وغيرها من المشروعات الثقافية في الكويت.
- لقد لعبت الديوانية دوراً اجتماعياً مهماً، حيث كانت المرتع الخصب الذي تدور فيه أحاديث الأدب والفقه وتُناقش فيه الآراء السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وقد حفّلت هذه الدواوين بالنوادر والمساجلات. وعلى الرغم من شمولية الموضوعات التي تُطرح إلّا أنّ الأمر لم يكن يخلو من وجود بعض الدواوين التي اقتصت بتدريس فرع من فروع الأدب والعلوم، فقد اقتصت ديوانية الشيخ يوسف الشمالان على سبيل المثال بتدريس علوم اللغة والدين. (من مسيرة التعليم، 2011)

التأثيرات الخارجية:

لم يكن المجتمع الكويتي مجتمعاً مجافياً للنمو، بل كانت الفئة القارئة فيه إزدیاد مستمر. ولعل الناس كانت تتفاخر في الديوانية والمجالس بمعرفة ما يجري في مصر والشام والعراق من حركات سياسية وثقافية، وتحفظ أسماء الكتّاب والمتفقيين والشعراء، فقد كانت السياسة الإنجليزية في مصر تسمح للهاربين من الدولة العثمانية في الأراضي العربية بحرية الكلام والحركة، كما تسمح للهاربين من الاستعمار الفرنسي في المغرب باللجوء (من مسيرة التعليم، 2011) ورفع الأصوات ضده. وكانت أصداء ذلك تتردد في مختلف الصحف والمجلات المصرية، ولم يكن محظوراً على أهل الكويت قراءتها، فكانت تصل بأعداد قليلة إليهم كما كان هناك من يشترك مباشرة فيها لئلا يفوته شيء، وغالباً ما كانت مخازن التجار والدكاكين أندية صغيرة يجتمع فيها محبو الاطلاع، وكانت الصحف أشبه بالمدرسة العامة لتوجيه الناس وتكوين مفاهيمهم حول الحرية والتقدم والعلوم والسياسة (المقاسم، 1986)

تأثيرات المدرسة المباركية على المجتمع الكويتي :

التأثيرات الثقافية :

تنوعت التأثيرات الإيجابية التي خلفتها المدرسة المباركية في المجتمع الكويتي آنذاك في الجانب الثقافي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي، فقد كان لها عظيم الأثر في التعليم وأصبحت المدارس في إزدیاد وتكاثر بعد أن كانت الكتابات تُعلّم القراءة والكتابة، فقد صار لزاماً على كل طالب كويتي في ذلك الزمان الالتحاق بالمدرسة والتزود بالمعرفة والعلوم. (الحسينان، 2015)

وقد كانت المدرسة المباركية فتحت باب خير في نشر مفهوم التعليم النظامي فعلى إثرها، افتتح العديد من المدارس الأهلية في الكويت التي من أهمها:-

-المدرسة العامرية (1919م) وكذلك المدرسة الأحمدية (1921م) و مدرسة السعادة للأيتام (1924م) و مدرسة الملا مرشد حيث إنَّ خريجي المدرسة المباركية ساهموا في تأسيس هذه المدارس والتدريس فيها.

بعثة الإرسالية الأمريكية

للمدرسة المباركية دور في المحافظة علي هوية المجتمع الكويتي ذي الصبغة العربية و الإسلامية، فعندما فتحت مدرسة الإرسالية الأمريكية في الكويت وبالذات تعليم اللغة الإنجليزية كان الإقبال علي مدرسة الإرسالية اقبالا ضعيفا فقد كان أهل الكويت متخوفين من التنصير مما ألقى بالعبء على المدرسة المباركية في تأكيد الهوية الإسلامية العربية فقد لاقت المدرسة المباركية القبول لدى الكويتيين أكثر من مدرسة الإرسالية الأمريكية. وكانت سدا منيعا ضد التنصير، فكانت تعزز من شأن التعليم الديني وتحارب البدع وتركز على التوحيد واللغة العربية (الحسينان، 2015)

وفي عهد الشيخ مبارك الصباح في عام 1911م وصلت إلى الكويت بعثة الإرسالية الأمريكية الطبية، وكان من ضمن هذه البعثة رجل يدعي القس كالفرى CALVERLY والدكتورة زوجته (خاتون حليمه) وقاما بافتتاح مدرسة صغيرة في مدينة الكويت لتعليم اللغة الإنجليزية وبعض العلوم الحديثة على نمط متطور وكان عدد التلاميذ في بداية المدرسة تسعة أو 10 تلاميذ مسلمين وثلاثة يهود، وكانت المدرسة تدرّس التلاميذ اللغة الإنجليزية إلى جانب اللغة التركية، وكذلك اللغة العربية بالإضافة إلى الحساب والجغرافيا بطريقة أفضل من الكتاتيب (البسام، 1980)

وقد انظمَ للقس كارفرى رجل من أهل الموصل من مسيحي العراق يُدعى جرجيس سلو (حاتم، 1980) وعلى الرغم من المعارضة القوية التي كانت ضد هذه المدرسة، فقد بدأت فكرة تعليم اللغة الإنجليزية تلقى ترحيبا عند بعض الشباب وحتى عند بعض كبار السن الذين كانوا يداومون في المدرسة بعد أن ينتهوا من أعمالهم التجارية، خاصة بعد أن أصبحت الدراسة بها صباحا ومساء، فلقد كان للرجل الأول الذين تعلموا اللغة الإنجليزية بأن عمل بعضهم في شركة نفط الكويت وآخرون في القنصليات البريطانية الموجودة في دول الخليج والبعض الآخر استفادوا من تطوير أعمالهم التجارية عن طريق المراسلة لبعض الشركات التجارية الأجنبية في الوقت الذي كان من الصعوبة بمكان أن تجد من يتحدث أو يترجم رسالة أو برقية باللغة الإنجليزية (شهاب، 1984) ويلاحظ أنَّ الإقبال على مدرسة الإرسالية كان إقبالا ضعيفا، وكان مُقتصرًا على أبناء الطبقة العليا المتتورين.

- المكتبات الأهلية

لم يرغب عن بال قادة الفكر والرأي من مثقفي الكويت أن الكتاب والمطالعة هما الأساس في نشر العلم وفي دعم التعليم وأنَّ الثقافة هي روح المجتمع المتحضر كما لم يرغب عن بالهم أنَّ الحصول على الكتاب مع عدم وجوده أو ندرة من يبيعه أو يقتنيه أو يستورده من الخارج أمرٌ عسير على الكثيرين لاسيما وأنَّ معظم من يقرؤون ممن يرغبون في اقتناء الكتب قد يعجزون عن دفع أثمانها، لذلك تم تأسيس العديد من المكتبات الأهلية التي كان لمؤسسي ورواد المدرسة المباركية دور في تأسيس هذه المكتبات سواء من خلال الأفكار او الدعم المادي ومن ابرز هذه الشخصيات الشيخ يوسف بن عيسى القناعي وسلطان إبراهيم الكليب وحافظ وهبه. ومن اهم تلك المكتبات:

- مكتبة الرويحي:

هي أول مكتبة أُسست في الكويت لبيع الكتب والأدوات المدرسية، وكان مؤسسها محمد أحمد الرويحي وسماها بالمكتب الوطنية؛ وذلك حوالي عام 1922م أو 1923م (1341هـ -1342هـ)، وكانت تحتوي صحف القاهرة ومجلاتها وصحف دمشق وبغداد وببيروت، وقدمت لطلاب مدرستَي: المباركية والأحمدية ما يلزمهما من الأدوات المدرسية والقرطاسية، (حسين، 2002) بالإضافة لمكتبة الدرع والمكتبة الوطنية ومكتبة

- مكتبة الدرع

هي مكتبة الحاج عبد المحسن حمد الدرع وهي من المكتبات التجارية الأولى في الكويت. ولم تقل لنا المصادر شيئاً عن تاريخ تأسيسها. وكانت هذه المكتبة مهتمة بالكتب وبخاصة الدينية منها. ولم تهتم بالقرطاسية. وكان موقعها في منطقة سوق الساعات ضمن فريج حي الوقيان، وقد وردَ في الإشارة إلى مكتبة الدرع أيضا في غلاف تاريخ الكويت للشيخ عبد العزيز الرشيد الصادر في عام 1926م إذ حمل الغلاف جملة (يطلب في الكويت من المكتبة الوطنية لصاحبها محمد بن الرويحي ومكتبة الدرع.) (مجلة رسالة الكويت، 2015)

- النادي الأهلي

و مع ازدياد المتعلمين والمتقنين في الكويت وزيادة الحاجة إلى الكتب والدوريات، تبنّى عدداً من أدباء الكويت من خريجي المدرسة المباركية بعد أن لمسوا أهمية إيجاد محل لائق يكون مجالاً لتبادل الآراء الأدبية والاجتماعية، وأثناء مناقشة الفكرة طرح اقتراح بإطلاق اسم النادي الأهلي على ذلك المحل إلا أن هذا الاقتراح لم يحظَ بالموافقة بسبب ما كان يحيط بكلمة النادي آنذاك من ظلال، ثم استقر الرأي في إحدى اللقاءات التي عقدت في منزل الشيخ حافظ وهبة وحضره عبد الحميد الصانع وسليمان إبراهيم الكليب على إطلاق اسم المكتبة الأهلية على المكان المقترح، وقد بادر المجتمعون الثلاثة إلى اتخاذ خطوات أخرى حين دُونوا في ذلك الاجتماع أسماء شخصيات رَوّوا فيها الصلاحية لعضوية المؤسسة المأمولة (المكتبة المركزية، 1988)

وُجّهت الدعوة إلى تلك الشخصيات لحضور اجتماع يُعقد في ديوان سلطان إبراهيم الكليب و قد لبّى الدعوة لحضور ذلك الاجتماع التأسيسي كل من سليمان العدساني، زيد محمد الرفاعي، مرزوق داود، رجب بن سيد عبد الله الرفاعي، عبدالرحمن النقيب، مشاري السن، علي الفهد الخالد، يوسف بن عيسى القناعي، واعتذر عن الحضور عيسى القطامي. وتقرر في الاجتماع أن يكون السيد عبد الحميد الصانع مشرفاً على تأسيس المكتبة يساعده السيد رجب بن سيد عبد الله الرفاعي الذي تولّى أيضاً أمانة الصندوق. (الفرحاني، 1959) واختير لها بيت علي العامر ليكون مقراً لها، وانهارت عليه التبرعات من أموال وكُتُب ونقل إليها ما تبقى من كتب الجمعية الخيرية التي كانت محفوظة في بيت البدر. (حاتم، 1980)

وفي 4 جمادى الثاني 1342هـ (1924م) عقد مجلس الإدارة جلسته في مقر المكتبة وقرر ما يلي: (التمار، 1994)

1- أن تُزوّد المكتبة بعدد من الصحف اليومية العربية والاشترار في جريدة الأهرام والمقطم المصرية وجريدة القبس السورية.
2- أن يكون من حق الأعضاء استعارة نسخة من كل كتاب، وكذلك المشتركين. وإذا أعاد المستعير ما استعاره أخذ كتاباً غيره على أن يضع تأميناً.

3- أن يكون للسيد عبد الحميد الصانع الأشراف على جميع شؤونها. وفي حالة غيابه يقوم مقامه السيد رجب بن سيد عبد الله الرفاعي. وفي حالة غياب الاثنين يُعيّن المجلس من يختاره من الأعضاء.

وفي العام نفسه استقال السيد عبد الحميد الصانع من الإشراف، وعيّن الشيخ يوسف بن عيسى القناعي رئيساً للمكتبة، والسيد سلطان إبراهيم الكليب مديراً لها. (التمار، 1994)

وقد كان الشيخ يوسف بن عيسى القناعي من الناشطين في جمع التبرعات للمكتبة حيث بعث برسالة إلى صديقه شملان بن علي يحدثه عن المكتبة ويقول ((لابد أن أبلغكم عن المكتبة الأهلية التي فتحت بهذه الأيام، وتجد بطيبة دستورها، وقد أُقبل الأهالي عليها بالإعانات بالكتب؛ ولكن أغلبها من كتب المتتورين العصرية. وكُتُب الدين قليلة فإذا حصل عندكم أو عند الحاج حمد كُتُب دينية فلا تُتخّر؛ لأنّ نفعها دائم، ويكون لكما اسم مَحَلٍّ مادامت المكتبة)) فيلاحظ على الرغم من أن السيد يوسف القناعي لم يشترك في اللجنة التأسيسية للمكتبة إلا أن دوره كان واضحاً في الدعوة إلى المشروع ومتابعته و الطلب إلى الشخصيات التي يعرفها تزويد المكتبة بالثمين والنافع من الكتب (حسين، 2002)

- النادي الأدبي

عندما تأسست المكتبة الأهلية رأى بعض الشباب المثقفين أنّ هذه المكتبة لا تقوى وحدها على النهوض بالبلد فكرياً، ما لم يكن هناك نادٍ يدعمها. وتلقّى من على منبره المحاضرات الأدبية والأخلاقية، وأن تُعالج به المشكلات الاجتماعية، ويكون واسطة التعارف والكلام وتبادل الآراء وجمع الشمل (حاتم، 1964)

فالمكتبة وُجِدَتْ للمطالعة والقراءة؛ أمّا النادي فيختلف عنها كونه واسطة للتعارف وتبادل الآراء والأفكار الأدبية والعلمية وتبادل وجهات النظر حول شؤون المجتمع والحياة في بلادهم وتبادل أحوال البلدان العربية وأخبارها. (المفرج، 1964)

وكان أوّل مَنْ فكّر بهذا المشروع خالد بن سليمان العدساني (الرشيد، 1978) ولكن يبدو أن الفكرة كانت موجودة لدى عددٍ من المهتمين؛ حيث يقول الشيخ عبد الله الجابر: كانت بداية التفكير بإنشاء النادي عندي في الديوانية، وقد رأينا أنّ البحرين فيها نادٍ للشباب فاقترحنا في تلك الجلسة إنشاء النادي الأدبي وفي يوم 24 رمضان سنة 1342هـ الموافق 30-4-1924م أي بعد 4 أشهر من افتتاح المكتبة أُقيم حفلٌ لافتتاح النادي كان له دور كبير في المجتمع الكويتي؛ حيث أقيمت فيه الخطب و القصائد وانتخب الشيخ عبدالله الجابر رئيساً له. (حسين، 2002)

وقد أُلقي فيها الشيخ عبد العزيز الرشيد محاضرة تعدّ أول محاضرة تُلقَى في الكويت من كويتي. وقد ذكّر الشيخ عبد العزيز الرشيد في كتابه تاريخ الكويت الحديث أنّه قام كذلك فيها بإعطاء دروس في الأخلاق والفقه واللغة العربية، وقد ساهم أهل الكويت بالتبرع له بالكثير من الكتب النافعة وتبرع كذلك حاكم الكويت الشيخ أحمد الجابر بالكثير من الصحف. (الرشيد، 1978)

التأثير السياسي

كان لأبرز المعلمين في المدرسة المباركية دور في قيام أول تمرد وعصيان في تاريخ الكويت. حيث إنَّ الشيخ خزعل أمير المحمرة كان حليفاً مخلصاً للإنجليز، وكان الشيخ مبارك الصباح الصديق الحميم للشيخ خزعل وحليف الإنجليز أيضاً، وقد قدّم خزعل كلَّ مساعدة ممكنة لحلفائه الإنجليز أثناء حربهم مع الأتراك في العراق وخاصة في البصرة، حيث كان له الدور الفعال في هزيمتهم وانسحابهم منها واحتلال الإنجليز لها سنة 1915م (1333هـ) ونتيجة لذلك قام رجال الدين بالدعوة لمحاربة خزعل ومحاربة كل من تسبب في هزيمة الأتراك (حاتم، 1980)

ضيق الثوار الخناق على خزعل فاستجد بمبارك، وكان الشيخ مبارك عنده بالفيلية في يخته المسمى (مشرف) فأرسل إلى نائبه في الكويت ابنه الشيخ جابر يطلب منه أن يرسل فريقاً من أهل الكويت بكامل سلاحهم للقتال بجانب الشيخ خزعل، فقد خشي مبارك أن تكون نتيجة هذه الحرب لصالح الثوار (الشمّان، 1986)

طلب الشيخ جابر بن مبارك من الكويتيين أن يُجهّزوا سفنهم، ويستعدوا للذهاب إلى الفيلية لنجدة الشيخ خزعل، فما كان من الكويتيين إلّا أن أجابوه بالعصيان لهذا الأمر والاشتمزاز والسخرية، وتعلّات صيحات الاستنكار والمعارضة من كل مكان، فكيف لهم أن يقاتلوا إخوانهم في الدين لأجل الشيخ خزعل (مقابلة الغانم، 2017)

والسبب في هذا العصيان هما الشيخ محمد الشنقيطي والشيخ حافظ وهبة إذ كانا يطوفان المجالس والأندية لتحذير الناس من طاعة الشيخ مبارك وأنَّ هذه الطاعة تُعدُّ ارتداداً عن الإسلام فاشتد غضب الناس وعظمت حماسهم وأعلنوا العصيان وصمّموا عليه (الرشيد، 1978)

فذهب وفدٌ من نواخذه الكويت لمقابلة الشيخ جابر المبارك وإبلاغه بعدم امتثالهم لهذا الأمر، فقالوا له عندما طلب منهم المسير إلى الفيلية لا نسمع ولا نطيع فقال: لماذا؟ قالوا: لأن الطاعة في هذا الأمر معصية لله، فبهت الشيخ جابر من هول المفاجأة لأن هذا أول عصيان للكويتيين ضد أمر صادر من الحاكم. حيث تثبت هذه الواقعة الرسالة التي أرسلها السيد سلطان بن عيسى القناعي إلى علي بن شملان وأخبره بذهاب 400 نوخدة، وأخبروا جابر بن مبارك الصباح (إحنا بكل أمر طائعين إلّا بهذا الطريق) (الشمّان، 1986)

وذكرت هذه الواقعة رسالةً أيضاً صدرت من الشيخ يوسف بن عيسى للحاج محمد بن شملان (أنَّ النواخذه اجتمعوا عند الشيخ جابر بن مبارك، وطلب منهم المشي فعصوا، وقالوا: نموت على الإسلام ولا نموت على الكفر ورخصهم، وسمح لهم بالذهاب بعد ذلك). مما أدّى إلى مكاتبة جابر لوالده وإخباره بالأمر الذي حصل، فأغضب هذا الأمر مباركا، وهدد وتوعد من كان يعتقد هو أنَّ له دوراً بهذا التمرد. (الشمّان، 1986)

وكان لجماعة من أعيان الكويت ومنهم إبراهيم المصنف رأي بأن يذهبوا على رأس وفدٍ إلى مبارك للتخفيف من غضبه، وقد كتب إبراهيم المصنف لحسين بن علي بن سيف رسالة يشرح فيها ما دار بينه وبين الشيخ مبارك، ويشرح طلب مبارك حيث قال: إنه قصد طلب سفن لحماية خزعل وأسرته ولحمل أثاثه وأمواله إذا لزم الأمر (الشمّان، 1986)، وأمرهم بالعودة إلى الكويت وإرسال السفن. وفعلوا عادوا إلى الكويت وتمكّنوا من إقناع الكثير من الناس، فجهّزوا 6 سفن وأرسلوها إلى المحمرة (حاتم، 1980) رجع مبارك إلى الكويت واستعدَّ كلُّ من محمد الشنقيطي وحافظ وهبة لما كان لهم من دورٍ كبير في حثِّ الناس على عدم طاعه مبارك. والدليل على تورُّط حافظ وهبة رسالة أرسلها إلى شملان بن علي في 22 ربيع الثاني 1333هـ عندما كان في البر يُخبره عن الأزمة، ويحثُّه على إنقاذ المسلمين والإسلام من هذا الخزي والعار في مساعدة الإنجليز ضد العثمانيين، ويذكره بأُملاكهم التي في البصرة وعاقبتها إذا وقفوا مع الإنجليز.

فلحافظ وهبة دور قوي ومؤثّر في هذا الأمر خاصة وأنه من المدرسين في المدرسة المباركية وتأثيرها قوي على الناشئة والأهل بآرائه.

فمبارك الصباح لم يَغفر لمن أثار أهل الكويت ضده؛ فعند وصوله إلى الكويت أمر بإحضار كلِّ من أمين الشنقيطي وحافظ وهبة ووجّه لهم تهمة التحريض عليه، ولكنهما نفيا هذه التهمة، وكان هذا بحضور المعتمد البريطاني في الكويت. (حاتم، 1980) وقد أدّى كلام مبارك القاسي معهم و جدّته إلى قيام الشنقيطي بالهرب إلى الزبير ومغادرة حافظ وهبة الكويت. (الشمّان، 1986)

- تأسيس المجلس التشريعي

تزايد عدد طلائع المتعلمين ومعظمهم من جيل المدرسة المباركية وتكونت منهم جماعة متتورة واضحة الاتجاه والتأثير في

المجتمع الكويتي تطالب بالتغيير وبمسيرة الحياة العربية المتطورة وذلك بسبب:

- شيوع المعارف والأفكار المتحررة وحب العلم وانتشار قراء الصحف العربية ومتابعه الأحداث في الوطن العربي. (حسين، 2002)
- تأثر البلاد بالتيارات الفكرية الجديدة التي انتشرت في الشرق العربي، وكانت هذه الأفكار تنتقل إلى الكويت عبر العراق، حيث درس بعض الشباب الكويتي هناك وكذلك بسبب زيارات شخصيات عربية مؤثرة مثل قدوم الحاج أمين الحسيني على رأس وفد إلى الكويت لإيضاح قضية القدس عام 1935م وقد استقبل الوفد بحماس كبير من الكويتيين. (الإبراهيم، 2010)
وعلى هذا الأساس أخذ الناس يتداولون فشل تجربة المجلس الاستشاري الأول الذي كان قائما عام 1921م، وقد رغبوا بالمشاركة وبضرورة التشاور في إدارة شؤون البلاد، وقد كان لقيام المجلس البلدي عام 1934م واختيار أعضاء مجلس المعارف عام 1936م، وتقدم عدد من النشطاء السياسيين بكتاب إلى الأمير أحمد الجابر من أجل إنشاء مجلس تشريعي دور كبير في دفع الأمير إلى الموافقة بعد العديد من حركات الضغط التي قام بها النشطاء السياسيون (حسين، 2002)
وقد كان لأعضاء الكتلة الوطنية دور فعال في هذا الأمر، واحتوت الكتلة مجموعة من الأعضاء الفاعلين أبرزهم أحمد زيد السرحان. وهو من تلاميذ المدرسة المباركية، فقد درس على يد كل من سيد عمر عاصم، والملا سالم الحسينان. ويعتبر ضمن مجموعة من الشباب الوطني الذين شكلوا أعضاء الكتلة الوطنية، وكان هو سكرتير الكتلة الوطنية. (الشهاب يوسف، 1984) وتعد الكتلة الوطنية أول حزب سياسي في الكويت تم انتخاب أعضاء مجلس إدارته في بيت الشيخ يوسف بن عيسى القناعي. (حاتم، 1980)
وكذلك لخالد سليمان العدساني الذي كان من تلاميذ المدرسة المباركية واشتغل بها مدرسا، وأحد أعضاء البعثة الطلابية التي أوفدت للدراسة في الكلية الأعظمية في بغداد عام 1924م (خلف، 2011) كان له نشاط سياسي ملحوظ خلال فترة أزمة حل المجلس التشريعي عام 1938م؛ حيث مارس نشاط سياسياً وانضم إلى العديد من الجمعيات السياسية أبرزها الكتلة الوطنية، وكان له دور في توثيق أبرز أزمة سياسية مرت بالكويت خلال القرن الماضي من خلال كتابه (نصف عام للحكم النيابي في الكويت). وقد ظل بسبب كتابه مطاردا أعواما عديدة من قبل السلطات الحكومية، وتم منع الكتاب من دخول الكويت إلى أن تحسنت الأوضاع السياسية في الكويت، وعاد إليها، وعمل في العديد من المناصب المهمة أبرزها تعيينه سفيراً للكويت في الأردن والعديد من البلدان. منها مصر وليبيا ولبنان وإيطاليا، وصار وزيرا للتجارة والصناعة (1971م-1975م) (البابطين، 2018)

3-4 المبحث الثالث: التأثير المجتمعي

لم تكن المدرسة المباركية مجرد مؤسسة لتربية الطلاب وتعليمهم فحسب بل كانت محفلا وملتقى ثقافيا واجتماعيا لأهل الكويت قاطبة؛ فقد كان أولياء أمور المتعلمين يحضرون لمعرفة ما يُدرس لأبنائهم، وليستمعوا إلى دروس الوعظ والفقه والدين والاقتصاد، وكان تقام بها المناظرات الشعرية يوم الخميس، و يحضرها الشعراء والأهالي. وقد شهدت المدرسة أول اجتماع لإنشاء شركة الخطوط الجوية الكويتية. (الحسينان)

كما أقيمت فيها المهرجانات الرياضية الكشفية، وتمت إقامة مسرحية تمثيلية تعرض لأول مرة في الكويت وهي إسلام عمر بن الخطاب التي أقيمت في عام 1939م في المدرسة المباركية برعاية حاكم الكويت آنذاك الشيخ أحمد الجابر. (شهاب، 1984)
ولم يقتصر النشاط الرياضي والكشفي في المدرسة على إقامة المهرجان الرياضي كل عام وإنما تعداه إلى المساهمة في المناسبات المهمة والاعياد؛ حيث تصطف مجموعة من فرق الكشافة أمام قصر السيف بأبواقها وطبولها للترحيب بالشيخ أحمد الجابر وبالشعب الكويتي بعد صلاة العيد. كما تقام المخيمات الكشفية في الصحراء، وقد خصص المدرسون الفلسطينيون يوم في الأسبوع يجتمع فيه جميع الأساتذة من كويتيين وفلسطينيين يُحضر كل منهم غداء، ومن ثم يتحول المجلس بعد الغداء إلى ندوات شعرية وأدبية يضم نخبة من شعراء الكويت منهم فهد العسكر وصقر الشبيب. (شهاب، 1984)

وكان يقام بها بعض المناسبات الخاصة كحفلات الزواج، ويُدعى إليها رجالا لا كويت ولا كويتات، وتقدم التهاني والتبريكات له ولأقاربه. ويدل ذلك على أن المدرسة المباركية كانت رمزا لأهل الكويت في أفرانهم ومناسباتهم. فهي ليست للتعليم فحسب بل امتد دورها ليشمل نواحي اجتماعية متنوعة. فهي المدرسة النموذجية بذلك الوقت نموذجية بأنظمتها التعليمية ونشاطها العلمي والرياضي والكشفي والمجتمعي.

كما تم جمع مساعدات للشعب الفلسطيني عام 1947م واشترك بهذا الامر جميع أطراف المجتمع الكويتي وكانت النساء الكويتيات يأتون بالذهب للتبرع للقضية الفلسطينية. (مقابلة الغانم، 2017)

وكان يقام في المدرسة حفلة رياضية سنوية كل عام الهدف منها جمع التبرعات للمدرسة، فالمبالغ التي كانت تُجمع كان يتم صرفها على الطلاب المحتاجين الذين لا يستطيعون دفع ثمن الملابس الرياضية والأدوات القرطاسية. (مقابلة شهاب الدين)
وقد كان للمدرسة المباركية بصمة واضحة في تحريج دفعة من الطلاب المميزين الذين كان لهم بصمة واضحة في المجتمع

الكويتي ومنهم:

- الدكتور صالح العجيري، وهو أول فلكي كويتي تخرج من المدرسة ثم عمل بها معلماً. (مقابلة العجيري، 2017)
 - عبداللطيف محمد ثنيان الغانم وهول أول رئيس لأول مجلس تأسيسي في الكويت بعد الاستقلال. (الشهاب، 1984)
- صالح محمد شهاب: الذي درس بالمباركية عام 1937م وقد كان له بصمة واضحة ومميزة في النشاط الرياضي في الكويت. جعلت المدرسة المباركية من الكويت منارة علم يقصدها العلماء والمفكرون ولم تكن مدرسة تعليم وتدريب فقط تقفل أبوابها بعد خروج الطلبة، بل كانت نادياً ثقافياً واجتماعياً لأهل الكويت كافة من الطلبة والمدرسين وأولياء أمور المتعلمين فقد كانت تستضيف الأدباء والمفكرين والعلماء الذين يقومون بإلقاء المحاضرات فيها يحضرها مختلف طبقات المجتمع (الحسان، 2015) ومن أبرز الأدباء الذين زاروا المدرسة: أمين الريحاني الذي زار الكويت في ديسمبر عام 1922م وكتب عنها في كتابه (ملوك العرب) الذي صدرت طبعته الأولى عام 1924م. وقد شهد أثناء زيارته للكويت الاحتفال بمناسبة مرور عشر سنوات على تأسيس المدرسة المباركية.

- الخاتمة

توصلت الدراسة في ختامها الى عدة نتائج أهمها ان المدرسة المباركية تعدّ اول مدرسه نظامية في الكويت وفي منطقته الخليج العربي كله، وان هذه المدرسة قامت في بداياتها بجهود اهليه فقد كان للشيخ يوسف القناعي الدور الكبير في نشر الوعي بأهمية وجود مدرسه وفي اقناع رجالات الكويت بالتبرع لها. وكذلك بينت الدراسة الدور البارز للشيخ ناصر المبارك الصباح الذي لم تتطرق له العديد من الدراسات ولم توضح دوره المهم في مرحلة التأسيس في وجود هذه المدرسة من خلال انه ابن للشيخ المبارك ووجود هذه المدرسة ومشاركته بها يدل على رغبة حاكم الكويت الشيخ مبارك بوجود هذا الصرح التعليمي وكذلك كان للشيخ ناصر المبارك دور في مكاتبة علماء الامه البارزين ورجالات عصره لجلب افضل المدرسين لهذه المدرسة الفتيه. واهتمت الدراسة بتوضيح الأثر المجتمعي للمدرسة المباركية ودورها في نمو الثقافة في الكويت من خلال ازدياد عدد المثقفين والمتنورين، ورغبتهم في وجود المدارس الأخرى والنوادي الأهلية والمكتبات لينهلوا من العلم، وبهذا أصبحت المدرسة المباركية مصدر اشعاع حضاري له دور في نشر الوعي الثقافي والسياسي في المجتمع، كما بينت الدراسة أخيراً الدور الاجتماعي الذي مارسته المدرسة في جمع أبناء الكويت من مختلف الاطياف و الطبقات وجعلت الكويت منارة علم يقصدها العلماء والمفكرون فهي لم تكن مدرسه علم فقط بل كانت نادياً ثقافياً واجتماعياً لأهل الكويت كافة.

المصادر والمراجع

المصادر

- الرشيد، عبدالعزيز، (1978) تاريخ الكويت، لبنان: دار مكتبة الحياة. ص 375.
حاتم، عبد الله، (1980) من هنا بدأت الكويت، الكويت: دار القبس. ص 75.

المراجع

- البسام، (1998) صدمة الاحتكاك حكايات الإرسالية الأمريكية في الخليج والجزيرة العربية 1892-1925، ط1، لبنان: دار الساقى. ص159.
التمار، عبدالعزيز وبدوي، محمد، (1994) المكتبات العامة والمدرسية في الكويت تاريخها وتطورها وواقعها، ط1، الكويت: دار العروبة. ص4.
الجاسم، نجاة، (2007) الشيخ يوسف القناعي ودوره في الحياة الاجتماعية والسياسية في الكويت، ط2، الكويت: مطبعة المجموعة الدولية. ص25.
الحسينان، سالم والحسينان، عبد المحسن، (2002) المُلّا سالم علي الحسينان وثلاثون عاماً في المدرسة المباركية، ط1، الكويت. ص 27.
حسين، عبدالعزيز وآخرون (2002) تاريخ التعليم في دولة الكويت دراسة توثيقية، ط1، الكويت: مركز البحوث والدراسات الكويتية، ج1.
خلف، عبدالله (2011) مائة عام من تاريخ التعليم النظامي في دولة الكويت، الكويت. ص 45.
الرومي، عدنان (1999) علماء الكويت وأعلامها خلال ثلاثة قرون، ط1، الكويت: مكتبة المنار الإسلامية. ص689-690.
الشمائل، سيف، (1986) من تاريخ الكويت، ط2، ذات السلاسل. ص170.
شهاب، صالح، (1984) تاريخ التعليم في الكويت والخليج أيام زمان، الكويت: مطبعة حكومة الكويت، ج1. ص29، 30، 47، 159، 213.
الشهاب، يوسف (1984) رجال في تاريخ الكويت، الكويت: مطابع دار القبس، ج1. ص 14، 15، 16، 352.

- الفرحاني، محمد، (1959) الكويت بين الأمس واليوم، دمشق. ص171.
- المرعشلي، يوسف، (2006) نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر، ط1، بيروت: دار المعرفة، ج1. ص 737.
- المفرج، عبدالله، (1964) عرض عام عن التعليم بدولة الكويت تاريخه وتطوره، بيروت: المركز الإقليمي لتدريب كبار موظفي التعليم في الدول العربية. ص88.
- المقامس، خالد (1986) الديوانية الكويتية وتأثيرها في الحياة النيابية، ط1، الكويت: مكتبة مركز البحوث والدراسات الكويتية. ص39.
- (18 فبراير 1988) المكتبة المركزية في 50 عاماً 1935-1985م، الكويت: المجلس الوطني الثقافة والفنون الآداب . ص 17-18.
- (2011) وزارة التربية، من مسيرة التعليم الأولى في الكويت، الكويت: مطبوعات وزارة التربية. ص13، 17، 20.
- الرسائل العلمية**
- الإبراهيم، عبد الرحمن، (2010) تطور الحركة الدستورية في الكويت بين عامي 1938-1961، جامعه الشارقة- كلية الآداب والدراسات الإنسانية والاجتماعية، قسم الحضارة الإسلامية. ص 48.
- الدوريات**
- مجلة رسالة الكويت، السنة 13، العدد 50 أبريل 2015، ص20، 22.
- مجلة رسالة الكويت، السنة 4 العدد 16، أكتوبر، 2006، ص19.
- المقابلات الشخصية**
- الدكتور صالح العجيري يوم الإثنين الساعة 5 في منزله بمنطقة اليرموك السكنية وهو أول عالم فلكي كويتي وقد درس في صباه لدى الملا مرشد، ثم انتقل للدراسة في المدرسة المباركية وقد درس، ودرس بها.
- غانم يوسف الغانم يوم الإثنين الموافق في منزله في منطقته ضاحية عبدالله السالم الساعة 5 وهو كاتب ومؤرخ لتاريخ دولة الكويت، وله العديد من الإصدارات درس في المدرسة المباركية عام 1934م.
- المقابلات التلفزيونية**
- مقابلة تلفزيونية من تقديم المذيع رضا الفيلي مع الأستاذ أحمد حسين شهاب الدين لبرنامج صفحات من تاريخ الكويت لتلفزيون دولة الكويت. <https://www.youtube.com/watch?v=wKjkqW-vYtM>
- مواقع إلكترونية**
- موقع مكتبة البابطين لشعراء العربية في القرنين التاسع عشر والعشرين، 2018/2/5 الساعة 11 م.
- http://www.almoajam.org/poet_details.php?id=2316
- المراجع الأجنبية**
- (1994) Kuwait Political Agency, Arabic Documents 1899-1949, Archive Editions , London , Vol 9, p393-180, No.5, p. 147.

*Abdalla Sulaiman Almughani **

ABSTRACT

The study was founded by the Mubarakiya School as the first regular school in Kuwait and its development between 1911-1936 and the societal influences of the Mubarak school on the Kuwaiti society and its role in the emergence of many modern schools and the presence of libraries and cultural clubs in addition to the societal role played by this school in spreading political and cultural awareness.

Keywords: Mubarakiya school, Kuwait, Schools, Libraies, Ku waitisociety.

* College Of Arts, University of Sharjah. Received on 1/10/2018 and Accepted for Publication on 5/2/2019.